تصوير الشخصيات في القرآن الكريم

د. عبداوي حفيظة

جامعة سيدي بلعباس

يتناول التصوير الفني في القصة القرآنية عنصر الشخصية التي هي أساس النسيج الفني كله، والتي تنمو قليلا ، وتتطور شيئا فشيئا بصراعها مع الأحداث أو المجتمع، وكلما قطع القارئ منها شوطا فاجأته بشيء جديد فيها، وكشفت له عن جانب من جوانب العاطفة الإنسانية المعقدة.

والقرآن حين يقدم لنا التصوير الفني للشخصيات إنما يقدمه بشكل مقنع، وذلك يمنح كل شخصية من تلك الشخصيات صفة تبرر موقفها القصصي تبريرا موضوعيا في محيط القيم التي تتفاعل معها، فينشأ بينهما التأثر والتأثير. ومما يلحظ في القصة القرآنية هذا التصوير الواضح للشخصيات التي يمكن اعتبار كل واحدة منها نموذجا في مجاله الفردي أو الجماعي.

وكثير من القصص القرآني تشترك فيه شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، بينهما تلاحم إنهما تتظافران " على دعم الفكرة أو الأفكار الجوهرية فيها، وذلك بتلاقيهم في حركتهم نحو مصائرهم، وتجاه الموقف العام في القصة ويلاحظ في التصوير القرآني لهذين النوعين من الشخصيات انهما مأخوذان من واقع الحياة، وكل شخصية منهما لها دورها ورسالتها التي تؤديها في أغراض القصة وأهدافها"[1].

أما الشخصيات الرئيسية فتسهم في صنع الأحداث أو تدور الأحداث حولها مثل آدم وإبليس، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، وشعيب ،وسليمان وملكة سبأ وموسى وفرعون، ويوسف، وهي شخصيات فردية، ومن الشخصيات الرئيسية الجماعية أبناء يعقوب–عليه السلام– في قصة يوسف، وبنو إسرائيل في قصتهم مع موسى ، والملأ في أكثر قصص الأنبياء، وسحرة فرعون.

وأما الشخصيات الثانوية فدورها محدود في القصة، ولا يتكرر ظهورها فيها مثلما تكرر الشخصيات الرئيسية منها الملائكة في قصة آدم، وامرأة فرعون في قصة موسى، وشيخ مدين وابنتاه، وفتى موسى في قصته مع العبد الصالح، وهارون.

والنظر في شخصيات القصة القرآنية يكشف لنا عن ذكر أسماء بعض الشخصيات، وإغفال بعضها الآخر، ولعل أسماء الأنبياء هي أكثر ذكرا من أسماء معانديهم، وفي ذلك تكريم لهذه الفئة التي حملت أعباء الدعوة الإسلامية ونهضت بها، أما بعض الكافرين الذين علوا في الأرض كفرعون وهامان وقارون ففي ذكرهم تشهير بعنادهم والسخرية منهم، فهم ملعونون إلى يوم القيامة، وفي عاقبتهم المشينة عبرة لمن أراد أن يعتبر.

ومما يلفت النظر في تصوير القصة القرآنية للشخصيات، إبرازها للملامح العقلية والنفسية والخلقية مع عدم إغفال الجانب الجسدي في كثير من الأحيان[2].

أ. شخصية آدم –عليه السلام–: نجد في قصة آدم –مثلا– حديثا عن المادة التي خلق منها، كما نجد وصفا لضعفه النفسي والذاكراتي معا يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[3].

إن"الشيء الذّي عهد إلى آدم هو ألا يأكل من الشجرة، وأُعلم مع ذلك أن إبليس عدوٌّ له... قوله ﴿ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾... لم نجد له صبرا عن أكل الشجرة، ومواظبة على التزام الأمر"[4]. وهكذا يتجلى ضعفه أمام عدوه أبليس، ونسيانه أمر الله، فكان عاقبته أن أُهبط إلى الأرض ، بعدما كان في جنة الفردوس يتبوّأ منها حيث يشاء.

أ. شخصية موسى –عليه السلام–:

تظهر شخصية موسى من خلال ما وردت فيه من قصص- وهي من أكثر القصص القرآني وروداً-حادة الطبع والمزاج ، سريعة الإنفعال، قوية الجسم وفي المقابل هي "سريعة في هدوئها واتّزانها، وليس معنى ذلك أن يفهم الإندفاع على أنه خلل أو قمور، فما كان لرسول مختار أن يكون كذلك وإنما هي –أحوال المفاجأة- المثيرة التي تخرج الإنسان عن هدوء الطبع، وإنما هي –أحيانا أخرى-تلك الغضبة للحق إذا ما كان هناك مجال للغضب، أو هي الحماسة البالغة من أجل إدراك الحقيقة والصواب في بعض الأحيان"[5].

كما تبرز هذه الصفات جلية في كل أطوار حياته، منذ أن وكز الرجل المصري الذي كان يقتتل مع الإسرائيلي، فقضى عليه، ثم أناب إلى ربه مستغفرًا حتى إذا كان اليوم الثاني ورأى الإسرائيلي نفسه يقتتل مع مصري آخر هم بالمصري مرة أخرى[6]، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾.[7]

يصور هذا المشهد موسى القوي والفتي، كما يصور طيبة قلبه وسرعة ندمه، فقد رجع إلى نفسه لائما، وأقر بذنبه، وراح يطلب الغفران﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[8]، ويرتسم هذا المشهد أمام المتلقي، كأنما هو ينظر الآن إلى موسى، ويقف على ملامح وجهه المليئ حسرة وندما، إنه رافع يديه، ومتبتّل إلى ربه وداعي، وطالب الغفران.

القوة والعفة والأمانة: نلمس في شخصية موسى- عليه السلام- القوة والعفة والأمانة بدليل قوله تعالى على لسان إحدى ابنتي شعيب: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[9].

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[10] نجد صورة موسى الذي لا يتوانى عن تقديم يد العون والمساعدة لكل معوز محتاج.

ونلتقي بموسى الذكي الفطن، بدليل أنه لما أمره ربه بالذهاب لدعوة فرعون:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾[11]. ثم بموس الغير قادر على توجيه الدعوة وتوصيلها كما ينبغي لعدم فصاحته: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾[12] .

يصور لنا السياق القرآني في موضع آخر شخصية موسى الشغوفة بحب الإستطلاع يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَمّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[13]، إن "سؤال موسى رؤية الله تعالى تطلع إلى زيادة المعرفة بالجلال الإلهي، لأنه لما كانت الموئعدة تتضمن الملاقاة. وكانت الملاقاة تعتمد رؤية الذات وسماع الحديث، وحصب بموسى أحد ركني الملاقاة وهو التكليم، أطمعه ذلك في الركن الثاني وهو المشاهدة، ومما يؤذن بأن التكليم هو الذي أطمع موسى في حصول الرؤية"[14].

هذه بعض المشاهد التي نطلع من خلالها على شخصية موسى –عليه السلام- كأنما نراه بسماته وحركاته، إنه مثال للزعيم المندفع الذي لا يصبر على رؤية الظلم، إنه صاحب شخصية انفعالية تظهر جلية من خلال مواقفه المتعددة.

لعل ما يميز شخصية موسى عليه السلام من الناحية الكلامية- عدم الإبانة- كما وصفه بذلك فرعون ﴿ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[15]، وصرح به هو نفسه حين قال: ﴿أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً ﴾ ، واعترافه هذا يدل على أنه كان بلسانه لكنة حالت دون توجيه الدعوة و توصيلها.

وتقع أبصارنا في التصوير القرآني للشخصيات على بعض ملامحها الجسمية، كقوة موسى –عليه السلام- لقوله عز وجل: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾[16]، فلو لم يكن موسى يتمتع بقوة كافية ما استطاع أن يقضي على القبطي بوكزة واحدة، كما تتجلى قوته وأمانته في قوله تبارك وتعالى على لسان إحدى ابنتي الشيخ:﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾[17].

و يصور التعبير القرآني عصبية موسى- عليه السلام- في:

1. الحالة النفسية التي رجع بها: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾[18]، والأسف هو أشد الغضب كما قال أبو الدّرداء[19].

2. الفعل الذي قام به: ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾[20]إن إلقاء الألواح كان إظهارا للغضب، "أو أثرا من آثار فوران الغضب لما شاهدهم على تلك الحالة، وما ذكر القرآن ذلك الإلقاء إلا للدلالة على هذا المعنى"[21].

3. أخذه بلحية أخيه هارون ورأسه بعد رجوعه من ميقات ربه:﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾22 "أي: إمساكه بشعر رأسه، وذلك يؤلمه، فذلك تأنيب لهارون على عدم أخذه بالشدة على عبدة العجل"[23].

4. الكلام الذي صدر عنه: ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾[24]، كما أن الشأن في جر رأس أخيه "لا يقع إلا مع كلام توبيخ، وهو ما حكي في سورة طه بقوله: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[25] على عادة القرآن في توزيع القصة، واقتصارا على موقع العبرة ليخالف أسلوب قصصه الذي قصد منه الموعظة أساليب القصاصين الذين يقصدون الخبر بكل ما حدث"[26].

ج. شخصية طالوت: تتبين هذه الشخصية و تتضح في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾[27].

لقد اختاره الله "وهو الحجة القاطعة، وبيّن لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت، وهو بسطته في العلم الذي هو مِلَاكُ الإنسانِ، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء، فتضمّنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة وأنها مستحقة بالعلم والدّين و القوّة"[28].

إنها شخصيّة ملكت الكثير من العلم، ومن قوّة الجسم ما لم يملكه غيرها، وهي صورة تبدو واضحة المعالم من خلال هذه الآية الكريمة.

والقرآن الكريم لا يذكر من الملامح إلا ما كان ذا قيمة واضحة في القصة وما يخدم غرضها الديني" وأبرز ما يلاحظ في التصوير القرآني للشخصية بصفة عامة أمانة النقل في حكاية أقوالها، ودقة التعبير عن مشاعرها، وصدق الترجمة الباطنية عن خواطرها"[29] والقصة القرآنية صدق كلها، لا ينبغي أن يرتاب فيها مرتاب.

تحرص القصة القرآنية على تصوير الأشخاص تصويرا جليا واضحا كأننا نراها ونشاهدها، وتصاحبنا عبارات تصور درجة انفعالها" وكأن المعاني صور واضحة في الشخص المتحدث عنه، ولو أن مصورا متحركا يصور الشخص في مشهد من مشاهد الذعر، ما كان أكثر تصويرا من الألفاظ القرآنية والأساليب في تصويرها"[30]، إذن لا يختلف اثنان في أن الصورة القرآنية ليس لها نظير بين الصور، فلها عدستها المميزة التي يستحيل العثور على مثيلتها، مهما كثرت الإكتشافات وتعددت وتنوعت عبر العصور المختلفة.

هـــ. شخصية إبراهيم- عليه السلام- :

من الشخصيات القصصية التي صورت تصويرا رائعا، نجد شخصية إبراهيم – عليه السلام- ها هو وهو الصبي يخلو بنفسه متأملا في ملكوت السموات والأرض باحثا عن خالقه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾[31].

تظهر شخصية إبراهيم الخليل –عليه السلام- في هذا القصص شخصية مثالية، إنَّه يحاول التطلع لليقين، والإمتثال لأمر الله، كما يظهر حلمه ورأفته بقومه، فلقد كان الخليل أُمَّةً بنفسه كما أثنى عليه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ ﴾[32].

إنّ بعد نظره، ورجاحة عقله وكثرة تأمله في ملكوت السموات والأرض دفعته إلى البحث عن الخالق الأعظم، وقد استعان في ذلك بفطرته السليمة حتى هداه الله إليه فوجده؛ ولكنه لم يجده في كوكب يلمع، ولا في قمر يطلع، ولا في شمس تسطع، ولا فيما تبصره عيناه، وتدركه حواسه، وإنما وجده في كيانه وفي الوجود كله[33].

إنه يحب الإطلاع على الأمور بل والتطلع إليها، حتى يكون إيمانه عن معرفة كاملة، ولعل هذه الرغبة الكامنة بداخله هي التي دفعته إلى أن يسأل ربه عن كيفية إحياء الموتى، حتى يطمئن لإيمانه بالبعث، ويدفع كل شبهة يمكن أن تجول بخاطره يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[34].

وما نظنّ أنّ إبراهيم –عليه السلام– شك في قدرة الله على إحياء الموتى ولكنه" طلب المعاينة، وذلك أنّ النّفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به؛ ولهذا قال عليه السلام: ليس الخبر كالمعاينة"[35].

ويصور القرآن الكريم شخصية إبراهيم– عليه السلام– وهو يحاور أباه محاولا إقناعه بهجر عبادة الأصنام والشيطان لينجو من عذاب الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾[36].

تظهر شخصية إبراهيم من خلال هذا المشهد شخصية هادئة ،متزنة، متودّدة إلى والدها هذا التودد المصحوب باللّين يُصوره أسلوب النّداء المتكرر(يَا أَبَتِ)، من أجل توكيد الدّعوة و ترسيخها.

ولكن أباه يواجهه بموقف صلب غليظ، إنه يعجب كيف يرغب ابنه عن آلهته، فيهدده بالرّجم، ويتوعده بالطرد إن لم ينته ويتراجع ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾[37].

ولكن هذه الإساءة من الأب لم تفقد الإبن أدبه ولا رفقه، ولا بره بأبيه، ولا حبه له، إنه لم يطلب له العذاب ولا الهلاك وإنما: ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾[38].

ولا عجب في ذلك فإبراهيم صاحب قلب كبير يغمره الرفق والحلم على الناس بالرغم من إيذائهم له، فكيف إن كان المؤذي والده؟.

ويصاحب الهدوء والرزانة إبراهيم من صباه إلى شيخوخته، بل إن الشيخوخة تزيده حلما ووقارا، ها هو يترل مكة مع أهله فيجد الأرض قفرا، والمكان جديبا فيلجا لله تبارك وتعالى متضرعا داعيا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[39].

وهاهي الملائكة تزور إبراهيم– الشيخ– لتبشيره، ولا يفصح السياق عن هذه البشرى إلا بمجيء امرأته، الّتي استغربت أن تلد وزوجها شيخ كبير، كما جاءت لتنقل إليه نبأ هلاك قوم لوط يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[40].

وتظهر شخصية إبراهيم من خلال هذه الآيات سخية رءوفة، فقد أكرم ضيوفه واطمأن إليهم، وفرح بالبشرى التي حملوها إليه، ولكنه وفي غمرة هذا الإطمئنان والفرح لم ينس قوم لوط، إنه لا يريدهم أن يهلكوا ولذلك راح يسأل ربه متضرعا إليه، مجادلا الملائكة في مصيرهم، فيجيئه الرد القاطع بهلاكهم، وان لا مجال للجدال فأمر الله قد قضى فيهم[41].

ز. شخصية نوح- عليه السلام-:

وتطالعنا في القصص القرآني شخصية نوح القوية التحمل والصبر، ويتضح ذلك في قوة تحمله لأعباء الدعوة، فقد مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، ومع ذلك لم يؤمن معه إلا القليل يقول تبارك وتعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[42].

كما تظهر شخصية خاشعة منيبة لله خاضعة لأوامره، وذلك حينما أمره ربه ألا يخاطبه في القوم الظالمين، وفاته ذلك وتحركت عاطفة الأبوة فيه يخاطبه في ابنه، فاعتذر عن ذلك: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾[43].

ولا شك أن لبشريته تأثيرا في شخصيته، إذ بعد أن طالت مدة مكثه فيهم ييئس منهم ويبتئس فيدعو عليهم قال تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[44].

ك. شخصية يوسف -عليه السلام-: تجتمع في شخصية يوسف- عليه السلام- جملة من الصفات والمبادئ العظيمة نلخصها في ما يأتي:

أ. النفس المؤمنة الصابرة.

ب. سعة الحيلة/ قوة الذكاء/ حصافة الرأي.

إن هذه الشخصية رسمتها الريشة القرآنية بجانبيها الحسي والمعنوي، فكشفت عن أبعادها العقلية، والجسمية، والعاطفية، مثلما أبرزته صور الأحداث في قصته والتي سيكون لها فضاء خاص في الفصل الرابع من هذا البحث .

والملاحظ من خلال مل سبق أن إبراز سمات الشخصية في القرآن الكريم يقوم على مبدأ عام يسمى في علم النفس "اتساق شخصية الفرد"، " بحيث إن سلوكه يتناغم بصفة مستمرة مع الظروف الداخلية والخارجية التي يتعرض لها، وذلك بما يحمل من خصائص معينة تلازمه من موقف لآخر وتؤثر في سلوكه، وتحدد وجهته ونمطه"[45].

وذلك إنما يظهر في التصوير القرآني الذي ينقل المشاهد التي يتحرك الأفراد من خلالها بأمانة تامة.

والتركيز على الشخصيات في القصة القرآنية ليس لذاتها، وإنما لتصوير أفكار الدعوة، ذلك أن الشخصيات القصصية في القرآن الكريم تلتقي في الدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك.

وترتبط الشخصية في القصة القرآنية ارتباطا وثيقا بالأحداث إذ كلما كثرت الأحداث طالت القصة وزاد حجمها، وكلما قلت الأحداث قصرت القصة ونقص حجمها.[46]

إذن فالعلاقة بين الشخصيات والأحداث علاقة جدلية، فلا شخصية بلا حدث، ولا حدث بها شخصية، بل يفترض وجود أحدهما مع وجود الآخر

الهوامش:

1. هلال محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص533.
2. ينظر خلف الله محمد أحمد، الفن القصصي في القران الكريم، ص274.
3. سورة طه، الآية 115.
4. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج 6، ص 3302.

5. صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، مصر، 2003، ص122-123.
6. ينظر قطب سيد، في ظلال القران، مج5، ج20، ص2681-2682.
7. سورة القصص،الآية15.
8. سورة القصص، الآية 15.
9. السورة نفسها، الآية 26.
10. سورة القصص، الآية 24.
11. سورة القصص، الآية 33.
12. سورة القصص، الآية 34.
13. سورة الأعراف، الآية143.
14. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،دار سحنون للنشر و التوزيع،تونس،د.ط،مج. 4، ج. 9، ص 91.
15. سورة الزخرف، الآية 52.
16. سورة القصص، الآية 15.
17. سورة القصص، الآية 26.
18. سورة الأعراف، الآية 150.
19. ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص 248.
20. سورة الأعراف، الآية 150.
21. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج 4، الأجزاء 8-9، ص 115.
22. سورة الأعراف، الآية 150.
23. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج 4، الأجزاء 8-9، ص116.
24. سورة الأعراف،الآية 150.
25. سورة طه، الآيتان92-93.
26. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج. 4، الأجزاء 8-9، ص116
27. سورة البقرة، الآية 247.
28. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، مج 2، ص 908.
29. نقرة التهامي، سيكولوجية القصة في القران، رسالة دكتوراه ،الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1971م، ص361.
30. أبو زهرة محمد، المعجزة الكبرى ن القرآن، ص149.
31. سورة الأنعام، الآيات من 76 إلى80.
32. سورة النحل، الآيات، من 120 إلى 122.
33. ينظر قطب سيد، في ظلال القران، المجلد2، ج7، ص1141.
34. سورة البقرة، الآية260.
35. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مج 2، ص 945.
36. سورة مريم، الآيات من 40 إلى 45.
37. سورة مريم، الآية 46.

38. سورة مريم، الآيتان 47-48.
39. سورة إبراهيم ، الآية 37.
40. سورة هود ، الآيات من 69 إلى 76.
41. ينظر قطب سيد، في ظلال القرآن ، مج4، ج12، ص 1912-1913.
42. سورة هود، الآية 4.
43. سورة هود، الآية 47.
44. سورة نوح، الآيتان 26-27.
45. فهمي مصطفى، الصحة النفسية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط2، 1955م، ص66.
46. ينظر الراغب عبد السلام احمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص290.